(٥٧)

نهر الذكريات!

* ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

[سورة آل عمران: الآيات: ١٨٣ - ١٨٥]

* ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾

[سورة آل عمران: الآية: ١٩٧]

* ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾

[سورة آل عمران: الآية: ١٩٥]

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى ﷺ فى صحابته، يتذاكرون ما كان بأُحد، ومن فقدوهم من الأحباب فيها من الأنصار والمهاجرة.. تنهمر ذكريات الشهداء: مصعب بن عمير، وحمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، وشمّاس بن عثمان، وعمرو ابن معاذ، وعمارة بن زياد بن السكن، والحارث بن أنس، وسلمة وعمرو ابنى ثابت بن وقش، وحسيل ابن جابر، وحنظلة بن أبى عامر.. وغيرهم ممن جادوا بأرواحهم بأُحد..».

النبى : (لصحابته) لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم فى جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش.. فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم - قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنّا فى الجنة نرزق، يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا فى الجهاد وينكلوا عن الحرب. فقال الله تعالى لهم: «أنا أبلغهم عنكم».. فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران: الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠]

«المسلمون يكبرون ويسترجعون..».

* * *

«بحى من أحياء المدينة، النبى ﷺ يلتقى بجابر بن عبد الله.. عين النبوة تلحظ ما يلم بجابر من همّ وحزن وكدر..».

النبى : (لجابر) يا جابر، ما لى أراك منكسرًا؟!

جابر بن عبد الله : يا رسول الله، استشهد أبى وترك عيالاً وَدَيْنًا!

النبى : ألا أبشرك بما لقى الله به أباك؟

جابر : بلى يا رسول الله.

النبى : ما يكلم الله تعالى أحدًا قط - إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحًا (مواجهةً) فقال: تمنّ علىّ أعطيك. قال: يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية. قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق منى أنهم لا يرجعون.

(يتلو عليه السلام مواسيًا) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة آل عمران: الآيات: ١٦٩ - ١٧٠]

* * *

«الصحراء على تخوم المدينة.. معاوية بن المغيرة هائم شريد لا يدرى ما يفعل وقد انهزم بأحد وتقطعت السبل بينه وبين قريش وأحلافها.. لا يجد وسيلة للحاق بقريش، ويخشى إن ضرب وراءها فى الصحراء أن تلقاه أرصاد المسلمين.. يستخفى بين الجبال والوهاد أيامًا، حتى إذا

ما سنحت فرصة بليل، تسلل إلى المدينة تحت جنح الظلام يتحسس دار ابن عمه عثمان بن عفان..».

«دار عثمان بن عفان، وقد أخذته مفاجأة مقدم معاوية.. فكم أساء معاوية وتطاول على الله تعالى ورسوله.. وكم آذى المسلمين، ثم ها هو شريد حرب بعد أن قاتل المسلمين وقتل من قتل وأصاب منهم! فماذا عساه أن يفعل له عثمان؟».

عثمان بن عفان : (لمعاوية) ويحك! أهلكتنى وأهلكت نفسك! ما جاء بك؟!

معاوية بن المغيرة : يا ابن عم، لم يكن أحد أقرب إلىَّ ولا أمس رحمًا بى منك.. فجئتك لتجيرنى.

«عثمان يدخله ويؤويه بناحية من الدار، وينطلق لتوه ينشد رسول الله آملا أن يأخذ منه أمانًا لابن عمه.. يفاجأ بأن النبى عليه السلام قد تناهى إليه إصباحه بالمدينة، فأرسل من يطلبونه متوقعين أن يكون قد لاذ بمنزل عثمان..».

عثمان : (للنبى مبادرًا) والذى بعثك بالحق يا رسول الله، ما جئت إلَّا لأطلب له الأمان، فهبه لى..

النبى : (فى إسماح) قد وهبته لك، وأجلته ثلاثًا.. فإن وُجِدَ بعدها يمشى فى أرض المدينة وما حولها..

عثمان : (مبادرًا) حَقَّ عليه القصاص جزاء ما فعل..

«ينطلق عثمان فرحًا بما ناله من نفحات الرحمة المهداة ﷺ يشترى لمعاوية بعيرًا، ويزوده

ويجهزه.. ويوصيه بأن يبادر بالرحيل قبل أن ينصرم الأجل المضروب له..».

«معاوية بن المغيرة على راحلته فى الطريق، تمضى به الأيام فإذا هو قد ضل فيما حول المدينة بالجمّاء.. يلقاه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر.. ما إن يرياه حتى تهتاج مشاعرهما مما آذى به المسلمين وأصابهم وقتلهم فى أُحد.. يقذفانه بالسهام والنبال حتى نفذ فيه القصاص..».

* * *

«المدينة.. يهود المدينة لا يتركون فرصة للشماتة إلا استغلوها، ولا فرصة لاستئناف اللجاجة إلا انتهزوها.. يتزعم حركتهم مالك ابن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن تابوه وفنحاص بن عازر وحيى بن أخطب.. يجتمعون وينفضون.. يذهب بعضهم للرسول – عليه السلام – مجادلين ممعنيّن فى اللجاجة..».

اليهود : (للنبى) تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابًا.. (يستأنفون) وإن الله قد عهد إلينا بالتوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك!

«النبى عليه السلام، يعرض عنهم، ويشيح عن جدالهم العقيم..».

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتحنث ويبتهل إلى ربه وقد تزايد أذى اليهود والمنافقين.. يتطاول اليهود على المسلمين، ويخوضون فى الذات الإلهية، ويتخذون من أحد ذريعة لمواصلة التهجم على الإسلام والمسلمين.. النبى ﷺ يناجى ربه ويتضرع إليه.. يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: الآيات: ١٨٣ - ١٨٥]

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة فى أعقاب أحد وحمراء الأسد.. لا حديث لأهل المدينة إلا ما جرى من أحداث.. اليهود والمنافقون على دأبهم وإصرارهم على بث السموم واصطناع الأقاويل ونشر البلبلة والشكوك..».

«بمنزل أحد المنافقين بحـى من أحياء المدينة، وقد التأم عدد منهم يتآمرون بليل.. لا يكفون عن الشماتة، ويتسامرون فيما عساهم أن يصنعوا لمتابعة بث ضغونهم وتشتيت قلوب المؤمنين..».

أحدهم : (ساخرًا) أليس يقولون إنه نبيٌّ منزل من السماء، يتحدث إليه ربه.. (مستأنفًا فى استهزاء) إن كان محمد صادقًا فليخبرنا عمن يؤمن به منا ومن يكفر به..

«يتضاحكون فى استهزاء!!»

آخر : (مستهزئًا) إن كان نبيًّا، لعرف مـا تخفيه قلوبنـا.. فلماذا لا يخبرنا بمن يعرف عن دخيلة نفسه أمؤمن به أم كافر؟!!

«يتضاحكون!!»

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتهجد ويناجى ربه ويبتهل إليه، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

[سورة آل عمران: الآية: ١٧٩]

* * *

«المدينة وقد مضت أسابيع من أُحد وحمراء الأسد.. دار الشهيد سعد بن الربيع بالأسواف

(موضع بناحية البقيع فى حرم المدينة).. أرملته حامل فى جنين استشهد عنه أبوه، ولها بنتان.. لم يفقدها رحيل زوجها حزمها وقوة عزيمتها.. ها هو أخو سعد بن الربيع قد عدا على ميراث أخيه سعد ليأخذه ويحرم ابنتيه والجنين منه.. لا تستسلم زوجة سعد، ولا تهاب.. مشغولة فى الدار فى طهى لحم وثريد وخبز لتدعو إليه الرسول - عليه السلام - وصحابته..».

* * *

«النبى ﷺ فى صحابته بالمسجد النبوى، تأتيه دعوة أرملة صاحبه سعد بن الربيع.. يلتفت - عليه السلام - إلى صحابته..».

النبى : (لصحابته) قوموا بنا.

الصحابة : إلى أين يا رسول الله؟

النبى : إلى أهل أخيكم سعد بن الربيع..

«ينهض النبى ﷺ يتابعه رهط من الصحابة.. يممّون شطر الأسواف إلى دار صاحبهم سعد ابن الربيع..».

«على مدخل دار سعد.. الدار قد رُش فناؤها بالماء، وطُرح للضيوف حصير منسوج من الخوص.. يجلس الرحمة المهداة ومن حوله الصحابة.. يترحم عليه السلام على صاحبه سعد، ويترحم عليه الصحابة..».

النبى : (لصحابته متأثرًا) لقد رأيت الأسنة شُرعت إليه يومئذ حتى قتل..

«يتسلل إلى الجالسين بالفناء نواح خافت من داخل الدار.. تدمع له عينا الرحمة المهداة – عليه السلام.. تفيض عيون الصحابة من الدمع وهم يتذاكرون كيف استشهد سعد فى أُحُد لا يشغله ولا يعنيه وهو يجود بروحه إلا أن يوصى المسلمين خيرًا برسول الله ﷺ يقول للأنصارى الذى أتاه: «أبلغ رسول الله عنى السلام، وقل له سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته.. وأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم إن سعدًا يقول لكم: «إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف».

«تتصاعد زفرات الصحابة وهم يتذاكرون المشهد الجليل..»

النبى : (للصحابة) يطلع عليكم رجل من أهل الجنة!

«يتراءى الصحابة، من عساه أن يطلع فيفوز ببشارة الرحمة المهداة.. يطلع عليهم أبو بكر الصديق قادمًا للحاق بهم.. يبادرونه بالبشارة، لا يكاد يجلس، حتى يعاودهم ﷺ..».

النبى : (للصحابة) يطلع عليكم رجل من أهل الجنة..

«يتراءى الصحابة، يرقبون بشغف من عساه أن يأتى فيفوز ببشارة الرحمة المهداة.. يطلع

عليهم عمر بن الخطاب.. يبادره الصحابة ببشارة النبى – عليه السلام.. لا يكاد يجلس، حتى يعاودهم ﷺ..».

النبى : (للصحابة) يطلع عليكم رجل من أهل الجنة.

«الصحابة ينظرون من خلال السعف، ينتظرون على شوق القادم التالى.. يطلع عليهم على بن أبى طالب.. يبادره الصحابة مهنئين ببشارة الرحمة المهداة له.. ينضم علىّ إلى النبى – عليه السلام – والصحابة.. يتذاكرون صاحبهم الذى استشهد بأُحد فى سبيل الله..».

النبى : (للصحابة وقد مُدّ الطعام) كلوا بسم الله.

* * *

«بعد فترة، وقد فرغ الجميع من تناول الطعام.. النبى ﷺ يصلى الظهر ثم العصر بصحابته.. تقف امرأة سعد بن الربيع بين يدى الرحمة المهداة فى حزم مجدول بالأحزان..».

زوجة سعد : يا رسول الله، إن سعد بن الربيع وقد قتل بأُحد، جاء أخوه فأخذ ما ترك، وترك ابنتين ولا مال لهما، ولا لى، وإنما تُنكح النساء على المال!

النبى : (داعيًا) اللهم أحسن الخلافة عليه فى تركته.. (يستأنف) لم ينزل علىّ فى ذلك شىء، فعودى إلىّ إذا رجعت!

* * *

«بعد أيام، بيت النبى – عليه السلام – وقد جلس إليه عدد من الصحابة.. يلحظ الصحابة

أن العرق قد بدأ ينحدر على جبينه.. يلتزمون الصمت جميعًا إشفاقًا من أن يكون الوحى قد أتاه.. النبى - عليه السلام - يخفق خفقة يسيرة..».

النبى : (للصحابة) علىّ بامرأة سعد بن الربيع..

«ينطلق أبو مسعود عقبة بن عمرو فى طلبها..»

* * *

«بعد نحو ساعة.. ببيت النبى - عليه السلام - وقد وصلت امرأة سعد بن الربيع».

النبى : (لزوجة سعد) أين عم ولدك؟

زوجة سعد : فى منزله يا رسول الله..

النبى : ادعيه لى!.. (يستأنف مترفقًا) اجلسى!

«ينطلق أحد الصحابة فى طلب شقيق سعد..».

* * *

«بنفس المكان.. بعد بضع ساعة.. يقدم أخو سعد بن الربيع مع مبعوث الرسول.. يلمح امرأة شقيقه جالسة، فيداهمه القلق مما عساها أن تكون قد بثت به شكواها إلى رسول الله - عليه السلام».

النبى : (لشقيق سعد - مبادرًا) ادفع إلى ابنتى أخيك ثلثى ما ترك أخوك..

شقيق سعد : (صادعًا) ما تراه يا رسول الله..

«امرأة سعد بن الربيع تكبر شكرًا لله..».

النبى : (يستأنف) ادفع إلى زوجة أخيك الثُّمن وشأنك وسائر ما بيدك!

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى ﷺ وحوله المسلمون.. يتحدث إليهم، ويعظهم، ويبين لهم دينهم.. يسمعونه فى حب مخلوط بالأشواق..».

النبى : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر..

الصحابة : وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

النبى : الرياء، يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تُراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!».

«المسلمون يستعبرون..»

النبى : (للصحابة) إذا جمع الله الخلائق، نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير، فينطلقون سراعًا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنا نراكم سراعًا إلى الجنة، فمن أنتم..؟، فيقولون: نحن أهل الفضل.. فيقولون: وما فضلكم؟، فيقولون: كنا إذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أُسىء إلينا حلمنا.. فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

* * *

«المدينة.. دار أبى سَلَمة: عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ابن عمة النبى ﷺ: برة بنت عبد المطلب، صاحب الهجرتين وأول من هاجر من الصحابة إلى يثرب.. مصاب بجراح غائرة نالت منه فى أُحُد.. النبى عليه السلام يعوده ويطمئن عليه ويواسيه..

زوجته أم سَلَمة: هند بنت أمية بن المغيرة.. ذات إباء وفطنة.. تتذاكر ما كان فى أحد من نسيبة بنت كعب وغيرها من النساء اللائى أبلين أحسن البلاء.. تتشجع فتسأل النبى عليه السلام: لماذا لا تسمع شيئًا عن هجرة النساء ولا عن بَلاءِ النساء..».

أم سلمة : (للنبى) يا رسول الله، لا أسمع الله تعالى ذكر النساء فى الهجرة بشىء..

«النبى – عليه السلام – يبتسم فى سماحة.. يبين لها فى رفق وإسماح أن الله تعالى لا يختص بثوابه الرجال دون النساء، وأن للنساء ثواب ما قدمن ويقدمن من أعمال فى سبيل الله..».

* * *

«بعد أيام، النبى ﷺ فى تحنثه وتعبده ومناجاته، يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [سورة آل عمران: الآيات: ١٩٥ – ١٩٧]

(يرتفع الوحى)

* * *

«وسط الأحزان.. دار أم أبيها فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب.. الدار على ما هى عليه من خشونة وفقر.. فاطمة يأتيها المخاض.. إلى جوارها بعض النساء يساعدنها وعلىٌّ ينتظر بباب الدار وقد ملأته أشواق انتظار المولود.. تصافح أذنيه تكبيرات النسوة مع صيحات الوليد.. يرسل البشير بالخبر إلى الرحمة المهداة، ويسارع إلى فاطمة يطمئن عليها ويكتحل برؤية المولود.. ما يكاد يراه حتى يلمح الشبه الشديد بملامح جده عليه السلام..».

«الدار تموج بالمسرات.. يدخل النبى ﷺ مشوقًا فرحًا مغتبطًا بمولود أعز الناس عليه..».

النبى : (لفاطمة ومن حولها) أرونى بنى..

«فاطمة تناوله المولود، فيحتضنه عليه السلام بين ذراعيه، ويتلو الأذان فى مسمعه.. يقبل عليه يتأمله فى غبطة وحنان..»

النبى : (لعلى وفاطمة) ماذا سميتماه؟

على : سميته حربًا..

النبى : لله عليه، لا ولكن اسمه حسن..

«المدينة، وقد تنادت أحياؤها ودورها بالنبأ السعيد.. تعم الأفراح والمسرات تغسل الأحزان وتملأ جنبات المدينة بنور جديد يحمل الأمل والرجاء..».

* * *

«المدينة، أواخر عام ٣ هـ، على مشارف المحرم سنة ٤ هـ.. الوليد بن زهير بن طريف - من بنى طيئ: عم زينب الطائية زوجة طُليب بن عمير صاحب الرسول عليه السلام.. بدار طليب بالمدينة وقد نزل الطائى ضيفًا عليه، يدور بينهم السمر بليل.. يسر الطائى إلى صهره بأن بنى أسد قد حشدوا للمسلمين فى «قطن» (جبل بناحية فيد به ماء لبنى أسد بن خزيمة)..».

طليب بن عمير : (فى قلق) بالله أصدقنى.

الوليد بن زهير الطائى : قد تركت طُليحة وَسَلمة ابنى خُوَيْلد وقد سارا فى قومهما ومن أطاعهما بدعوتهما إلى حرب رسول الله - يريدون أن يدنوا للمدينة.. (يستأنف) قالوا نسير إلى محمد فى عقر داره، ونصيب من أطرافه، فإن لهم سَرْحًا يرعى جوانب المدينة، ونخرج على متون الخيل، فقد أرْبَعنا خيلنا (رعيناها فى الربيع)، ونخرج على النجائب المخبورة، فإن أصبنا نهبًا لم نُدْرك، وإن لاقينا جمعهم كنا قد أخذنا للحرب عدتها.. معنا الخيل ولا خيل لهم، ومعنا نجائب أمثال الخيل.. والقوم منكوبون قد أوقعت بهم قريش حديثًا، فهم لا يستبلون دهرًا، ولا يثوب لهم جمع!

طليب : أوافقهما قومهما؟!

الطائى : نهض رجل منهم يقال له قيس بن الحارث بن عُمَير فنهاهم وقال لهم: «ما هذا برأى!.. ما لنا قبلهم وِتْر وما هم نُهْبة لمنتهب.. أخذ يقول لهم: إن دارنا لبعيدة من يثرب، وما لنا جمع كجمع قريش، قد مكثت قريش تجمع العرب

دهرًا، ولهم وِتْر يطلبونه، ثم ساروا إليه بالإبل والخيل والسلاح فى ثلاثة آلاف مقاتل من أتباعهم، فأين نحن يا قوم من هذا؟! إنما جهدكم أن تخرجوا فى ثلاثمائة رجل إنْ كملوا، فتغررون بأنفسكم وتخرجون من بلدكم ولا آمن أن تكون الدائرة عليكم!!..

طليب : كلام حكيم..

الطائى : لا رأى لمن لا يُطاع.. لقد كاد حديثه يشككهم فى السير، ولكنى لا آمن أن يقعدوا.. فطلحة وسلمة يلحان إلحاحًا على قومهما فى الخروج، ويغريانهم ويعدانهم بالغنائم!!

* * *

«المسجد النبوى.. النبى ﷺ فى أصحابه، يأتيه طليب بن عمير بادى القلق.. ينقل إلى النبى عليه السلام ما سمعه من الطائى.. يستوثق ﷺ مما سمع، فيأمر صحابته بتجهيز سرية للخروج لملاقاة جموع بنى أسد قبل أن يغيروا على المدينة..».

* * *

«أمام المسجد النبوى، وقد اجتمع من انتدبهم صاحب العزم الأكبر من سراة المهاجرين والأنصار للخروج لصد بنى أسد.. فيهم أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وأرقم ابن أبى الأرقم، وأسيد بن حضير، وأبو قتادة، وأبو عياش الزرقى، ونَضْر بن الحارث، وعباد ابن بشر..».

«النبى – عليه السلام – من حوله الصحابة..
يوافيه أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى..
واضح عليه أنه لا يزال يعانى من الجراح التى أصابته بأُحد..».

أبو سلمة : لبيك يا رسول الله!
النبى : اخرج فى هذه السرية، فقد استعملتك عليها، وعقدت اللواء لك..
أبو سلمة : بأبى أنت وأمى يا رسول الله..
صحابى : (مراجعًا) وجروحك!!
أبو سلمة : ما بى بأس، وما كانت لتمنعنى!
النبى : (لأبى سلمة) سر حتى ترد أرض بنى أسد، فأغر عليهم قبل أن تَلاقَى (تجتمع) عليك جموعهم!
أبو سلمة : نفعل إن شاء الله..
النبى : وبعد، فإنى أوصيك ومن معك بتقوى الله..

* * *

«بظاهر المدينة، وقد اختار أبو سلمة – «الطائى» دليلا للسرية، يغذون السير ويتجنبون الطرق المطروقة.. يريدون أن يفجأوا بنى أسد..».

«عند جبل «قطن» وقد انتهت السرية إلى غير بعيد من عسكر بنى أسد.. تغير السرية على سَرْح للقوم فتضمه، وعلى رعاءٍ لهم فتأخذه، وأفلت البعض فارين بالنبأ إلى بنى أسد..».

«مضارب بنى أسد، ليس ببعيد، وقد وافاهم الفارون بنبأ مقدم وإغارة المسلمين، بنو أسد يتشاورون، ثم يبادرون بالفرار..».

«سرية أبى سلمة تصل إلى نبع الماء، ومضارب القوم، فتجد المكان قد خوى بفرار جموع بنى أسد!! أبو سلمة يجعل أصحابه في ثلاث فرق لتفقد نواحى المكان.. يوصيهم ألا يمعنوا فى طلب من آثر السلامة وهرب.. يتفرق المسلمون فيتفقدون المنطقة، فلا يلقون أحدًا.. يعودون جميعًا سالمين، لينطلقوا إلى الرحمة المهداة وأهل المدينة بفلاح السرية وهروب المغيرين..».

* * *